مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 08 عدد: 04 السنة: 2019
ص: 227 - 242 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

عتبة العنوان في ديوان مرثية الجـــــائع لجابر منصوري
The Threshold of the Title in the Poetry Collection of Lementation of the Hungry by Jaber Mansouri

د. فريدة بولكعيبات *
Farida Boulakibat
كلية الآداب واللغات جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة / الجزائر-
University of Skikda/ Algeria

تاريخ الإرسال: 2019/04/30	تاريخ القبول: 2019/08/28	تاريخ النشر: 2019/09/25

مُلخّص البحث

إنّ الإقرار بأهمية العنوان في النص الشعري أمر لا مناص منه، فهو يحمل هويته ،ويعد مفتاحا لقراءته ،واكتشاف عالمه الحقيقي والمتخيل وفق رؤية الشاعر الإبداعية وقدرته على التخييل الشعري من جهة، ومحاكاة الواقع من جهة أخرى.

استطاع الشاعر جابر منصوري في ديوانه مرثية الجائع أن يجعل من عنوان الديوان والعناوين الداخلية لوحة إشهارية يمررها إلى القارئ ويجبره على قراءتها دون وعي منه، وقد حاول من خلال هذه العناوين أن يصقل مرآة تعكس الواقع بمعطياته الاجتماعية والسياسية والتاريخية، فاعتنق لغة الشعر وعشق متاهاتها وتوسل لذة الغواية، من خلال العنوان ومن خلال الكتابة التي أبحرت به في عالم الاغتراب والمعاناة والعشق، فتأوه زفرات وآهات الأنا وتحسس أنين الآخر وقد اختار الشاعر ديوانه "مرثية الجائع "ملاذا للهروب أراد من خلاله أن ينجو من استلاب الواقع والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: عنوان أساسي- عنوان فرعي- جابر منصوري - ديوان مرثية الجائع.

Abstract

Recognizing the importance of the title in the poetic text is inevitable, it carries its identity and is a key to reading it and discovering its real and imagined world according to the poet's creative vision and his ability to poetic imagination on the one hand and simulate reality on the other.

The poet Jaber Mansouri in his Office of the hungry Murthy to make the title of the Office and internal titles billboard passes to the reader and forced to read without consciousness of it, has tried through these titles to refine a mirror reflecting the reality of social, political and historical data, embraced the language of poetry and love maze and beg The temptation,

* فريدة بولكعيبات. Prof.faridabou@gmail.com

through the title and through the writing that sailed in the world of alienation, suffering and adoration, groaned exhales and groans of the ego and the sensation of the other whine The poet chose his "epitaph of the hungry" as a haven to escape from which he wanted to escape the stealing of reality and society.

Key words: main title, subtitles, Djaber Mansouri, Lementation of the hunger.

تمهيد:

يكتسي العنوان أهمية كبيرة في العمل الإبداعي، فهو الذي يحدد هوية النص وتدور حوله الدلالات وتتعالق به، فهو عتبة مهمة من عتبات النص ومفتاح من مفاتيحه. يلج من خلاله القارئ إلى العالم النصي، لأنه ينفتح على احتمالات وتأويلات عدة.انطلاقا من هذا التصور يمكن أن نطرح السؤال التالي: أين تكمن أهمية العنوان في الخطاب الشعري؟

للإجابة عن هذا التساؤل وقع اختيارنا على ديوان مرثية الجائع للشاعر الجزائري جابر منصوري للكشف عن دلالات العنوان في خطاباته الشعرية، وعن مدى قدرة المبدع على اختيار العنوان الموحي والمغري في الآن نفسه. والحقيقة أن العديد من الدراسات النقدية المعاصرة اتجهت إلى الاهتمام بعتبة العنوان، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: نبيل منصر في كتابه الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، محمد بازي في كتابه العنوان في الثقافة العربية التشكيل ومسالك التأويل، عبد المالك أشبهون في كتابه العنوان في الرواية العربية ...وغيرها . وقد ركزت هذه الدراسات على عتبة العنوان في الخطاب الأدبي بجنسيه الشعر والنثر، في حين ركز محمد بازي في جزء من كتابه على بلاغة العنوان في القرآن الكريم. وقد استفدنا من هذه الدراسات في دراسة عتبة العنوان في ديوان مرثية الجائع للشاعر جابر منصوري، حيث حاولنا من خلال هذه الدراسة الكشف عن بنية العنوان الدلالية والجمالية في ديوان الشاعر.

ضمّن جابر منصوري ديوان (مرثية الجائع) مجموعة من القصائد الشعرية وخصص لكل قصيدة عنوانا ويظهر من خلال هذه العناوين دقة المبدع في اختيار وضبط العنوان الكاشف عن المنحى الفكري له وعن ذاته المتماهية في الواقع الاجتماعي العربي عامة، حين ترغب هذه الذات في الإفصاح والكشف عن العناصر المتشابكة والمكونة لهذا الواقع، فالعنوان«حامل معنى وحمّال وجوه. مواز دلالي للنص وعتبة قرائية له، توجه المتلقي نحو فحوى الرسالة ومضمونها، وهو حامل

معنى من حيث كونه يوجه إلى مقصد بذاته أو يلمح للمحتوى»[1]. فهو إذا جزء «لا يتجزأ من إستراتيجية الكتابة لدى الناص لاصطياده القارئ وإشراكه في لعبة القراءة لدى المتلقي في محاولة فهم النص وتفسيره وتأويله»[2].

جاءت عناوين قصائد ديوان "مرثية الجائع" كاشفة عن المنحى الفكري والواقع الإنساني للمبدع، حيث تبرز هذه العناوين أن الشاعر كائن عادي ملموس يجيد التواصل في إطار سياقات ومواصفات اجتماعية، وهذا يشير إلى وعي الذات الكاتبة بفاعلية العنوان الذي «يمثل مؤشراً سيميولوجيا ذا ضغط إعلامي موجه إلى المتلقي بمحاصرته في دلالة بعينها، تتنامى في الخطاب الشعري في وضوح أحيانا وخفاء أحيانا أخرى»[3].

والعنوان بهذا الاختيار المعتمد يدخل المتلقي مباشرة في نطاق النسق الفكري الخاص بالشاعر كما أنه يفتح شهية القراء للدخول إلى أعماق النص وتأويله فهو «يمثل هويته يختزل فيها معانيه ودلالاته المختلفة، ليس هذا فحسب بل حتى مرجعياته وإيديولوجياته، ومدى قدرة مبدع النص على اختيار العنوان المغري، والمدهش والممثل لنصه ولهذا السبب عد العنوان من أهم عناصر النص الموازي التي تسيج النص»[4]. من هنا يأتي الاهتمام بالعنونة رافدا منهجياً من رؤيا التلقي نفسها التي تحاول مقاربة المكتوب من مختلف مكوناته البنائية التي تشكله بما في ذلك بنية العنوان الجمالية، وهذا ما سنكشف عنه من خلال هذه الدراسة.

أولاً: شعرية البوح في العنوان الرئيس:

إن القارئ لعنوان ديوان مرثية الجائع يجد نفسه مسكونة بسؤال محير هو: هل يمكن لوقار المبدع وتكوينه المتزن أن ينعكس على نصه الإبداعي ويمكّنه من إنتاج نصوص تشعر عند قراءتها بالكثير من التريث والقسوة في انتقاء المفردة ثم الجملة الشعرية؟

لا تختزل وظيفة العنوان في كونه عتبة تكمن وظيفتها في جلب القارئ أو تنفيره فحسب بل أبعد من ذلك، إذ يشكل نواة النص الإخبارية التي تعطينا نظرة كثيفة عن المتن أو النص الأدبي وفي هذا الصدد يقول محمد مفتاح: «إنّ العنوان يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه وهو الذي يحدد هوية القصيدة فهو إن صحت المشابهة بمثابة الرأس للجسد والأساس الذي يبنى عليه»[5].

يتركب عنوان ديوان جابر منصوري من لفظتين الأولى اسم مفعول من الفعل الثلاثي

معتل اللام (رثى) وجاءت نكرة، والرثاء مصدر للفعل (رثى) فنقول: رثيت الميت ورثياً ورثاء ومرثاة ومرثية[6]. ويدل الفعل (رثى) في اللغة على التوجع والإشفاق[7]. والمرثية جمع مراثي وتختلف وظيفتها باختلاف المرثي ذاتا أو موضوعا دون وسائط بذكر مدائح المرثي. فالرثاء الصادق يتناول الذي يرثيه كذات حاضرة يتوجه إليها مباشرة دون وسائط بذكر مدائح المرثي، ويكون فيها الرثاء يحمل عميق المشاعر من الحزن والألم واللوعة والوحدة أحيانا[8]. هذا ما جعل دال المرثية تثير بمدلولها المباشر في النفس السلب والموت وانعدام الحركة. أما اللفظة الثانية فهي اسم فاعل من الفعل الثلاثي المعتل العين (جاع) ودال الجوع يثير بمدلوله الظاهري الافتقار إلى الأكل أو عدم تناول الطعام فيؤدي ذلك إلى الإحساس بالجوع والسؤال المطروح: أي جوع يقصده الشاعر؟

إن عنوان ديوان "مرثية الجائع" يضعنا على عتبة اللحظة الشعورية التي تثيرها فينا، وهو في الوقت ذاته يعطي ترنيمة أولى لنغم يمتد على طول قصائد الديوان، هو نغم المأساة والصراع ولهذا تحيل لفظة (الجائع) على جوع الإنسان وافتقاده للحرية والأمان والأمل في العيش وفزعه الدائم في عالم عاج بالحروب وفظاعة الإنسان ومأساة العيش، ولهذا كثيراً ما نلمس ذات الشاعر المعذبة في معظم قصائد الديوان التي كثر فيها ترداده لمعجم لغوي تكررت فيه مفردات موحية بآلام النفس، وآهات الفؤاد منها (البكاء /الأسى /الدموع/الأحزان /الخيانة /الخ ...). إذن فهو الجوع الذي لا ينتهي ورثاء الذات على ضياعها في متاهات الواقع والحياة التي لا تنتهي مأساتها، فجاءت صرخة الشاعر الآمرة للتخلص من الكابوس الذي خيّم على البلاد والعباد.

ثانيًا: شعرية الموقف والرؤية في العناوين الفرعية:

تنوعت عناوين القصائد في ديوان "مرثية الجائع" وكانت محطات هامة ومضيئة تستحق من القارئ الوقوف عندها، تحمل خصوصية معينة تحاول من خلالها البروز وإلغاء سلطة العنوان الرئيسي للديوان فهي تحاول «استعباده جزئياً ليتم الانفتاح على عوالم أكثر خصوصية»[9]. فهي عتبات مهمة لا تقل في أهميتها عن العنوان الرئيسي، لذلك عدها جيرار جنيت «من أبرز عتبات النص الفاعلة فيه والمؤثرة في دلالاته»[10]، فهي التي تقحم المتلقي في عوالم مختلفة وتساعد على القبض والإلمام بمختلف دلالات النص وكل ذلك يلمسه القارئ لديوان "مرثية الجائع" وهو يتصفح قصائد الديوان: مرثية الجائع والخبزة الحمراء / أنشودة الجائع / أسطورة بعث تحملها

أكتاف الرجال / بلهيبك نوفمبر عصرنا النجوم / أبكي حين أتذكر / ضعف الشأن محبوبتي يا قطار الأفراح/ الرسالة.

1.2. شعرية الرفض في: (مرثية الجائع والخبزة الحمراء / أنشودة الجائع / يا قطار الأفراح):

يحاول جابر منصوري من خلال نصوصه الشعرية أن يجسد موقفا خاصا يرفض فيه السائد / الراهن ويضع ذاته على عتبة سيرورة الحياة، وهو كغيره من الشعراء المعاصرين يحاول أن يبرز رؤيته وموقفه اتجاه الحياة وكل ما يحيط بها من ظروف، وتتجسد هذه الرؤية بوضوح في قصائده: مرثية الجائع والخبزة الحمراء / أنشودة الجائع / يا قطار الأفراح.

فإذا كان عنوان الديوان جاء على صيغة "مرثية الجائع" فإنه يحضر مكتملا وجزئيا في قصيدتين من الديوان، ففضلا عن الصيغة الأولى "مرثية الجائع" نجد مركبا اسميا آخر (الخبزة الحمراء) وهي جملة اسمية دالة على الثبات لا على الحركة والتغيير، فدال الجوع أسند في عنوان الديوان إلى ما ليس له أصلا أما في عنوان القصيدة فقد أسند إلى ما له وهو (الخبز) وقد وظف الشاعر اللفظتين معرفتين بـ (الـ التعريف) (الخبزة الحمراء) مما يدل على أنه يقصد خبزة خاصة وهي (الخبزة الحمراء). واللون الأحمر في تقنية الألوان لغة رامزة يعتمدها الرسام في تشكيل اللوحات الزيتية وهو لون يجمع بين «البهجة والعنف والمرح والحزن والأكثر ارتباطه بالدم»[11]. ودلالة اللون الأحمر سيميائيا هو من الألوان القاتمة والنارية وهو لون الخطر الذي توحي دلالته بالعذاب والدمار والموت والفناء وبهذا تنعدم مساحة الأمل، لأن المؤشر اللوني يعبر عن الوقائع والأحداث الرهيبة وهذا ما أدى إلى حضور الخوف والإحباط والألم بصورة مكثفة على مستوى النص، يقول الشاعر في قصيدته "مرثية الجائع والخبزة الحمراء":

هنا ... على حافة المدينة
أجسام تقتل شمس الصباح
القلم سيف يذبحنا
وحش هو الخوف
حين يساكننا
يا شاعرا مهلا ...
مازال للعيد ضحية

مهلا ...
أتعرفون أسطورتي ...؟
مرثية الجائع ...
والخبزة الحمراء[12].

في هذا المقطع تكررت صيغة (مرثية الجائع / الخبزة الحمراء)، وهي صيغة العنوان نفسها، وهذا التكرار ليس لعبة أو ضرباً من العبث وإنما يوحى بأن هذه الصيغة لها وقع خاص في نفس الشاعر وهي تحيل دلاليا إلى وضع البؤس والشقاء الذي يعاني منه المجتمع الإنساني فهو يسير ويقترب في خطواته نحو الخراب والدمار الحتمي.

يعنون جابر منصوري قصيدة له من الديوان (أنشودة الجائع) وهو عنوان يتقاطع جزئيا مع العنوان الأساسي يتألف من اسمين أضيف أحدهما إلى الآخر، فاللفظة الأولى (أنشودة) وهي من النشيد وهو ما يقرأ بصوت مرتفع وقد تكون القراءة فردية أو جماعية «وكان الشعر قديما ينشد إنشادا»[13]، والنشيد خطاب موجه إلى متلقي سواء كان فردا أو جماعة، ويقوم به الفرد فيوجهه إلى وطن أو حبيبة أو تقوم به الجماعة فتوجهه إلى وطن[14]، أما إذا نظرنا إلى النشيد موسيقيا نقول: هو قطعة موسيقية منظومة شعرا وملحنة تلحينًا خاصًا[15]. وقد أسند الشاعر دال الأنشودة إلى ما ليس له فلو كان العنوان (أنشودة الأم أو أنشودة الطفل) لكانت الإضافة حقيقية، ولكنه اختار (أنشودة الجائع) محاولا أن يعكس الواقع الإنساني بما فيه من بؤس وجوع وقهر. إذن فهو إحباط الأفراد المؤدي إلى الموت والدمار، إنها علامات وملامح المنشد الحزين المسكون بهاجس التوجع والمرارة ولهذا جاء نصه الشعري لوحة من لوحات الموت يرصد من خلاله الوضع الإنساني الذي لا يستمر على حالة واحدة:

لما البطون سكرى ...
على أشلاء الجائعين ترقص ...
تلعب ...
تثمل في كل حين
فيا أيها المتخمون
هذه أنشودة الجائعين

وإنّا إلى المنية سائرون
رغما عنا زاحفون[16]

إن النسق الفاعل في هذا المقطع هو نسق الإخبار الذي يتكفل بتقديم صورة بسيطة عن النهاية الحتمية للكادحين والجائعين، التي تبرز معها ذات الشاعر القلقة المصابة بهاجس القهر والإحباط والضياع يؤرقه الوضع الواقعي وتؤلمه زفرات الجائعين وآهات اليتامى:

ولم يبق في العذاب إلاّ الكادحون
سافروا حتى تعبوا...
وتعبوا ثم دفنوا
أو كذلك يبعثون ...؟!
تؤرقني زفرة الجائعين
دموع الثكالى وآهات اليتامى[17].

فالشاعر يبني رؤياه على إحساس من الواقع «فقصائده تحاول الاهتمام بالآخر والإخبار عنه بوصفه نموذجا لقطيع عريض من البشر»[18]، فألم المجتمع الإنساني ألمه، ومعاناة المجتمع الإنساني معاناته، ومن هنا تبرز صورة الارتباط بالآخر، بالمجتمع، بالفقراء فكانت قصيدته محاولة لاستيعاب التجربة الاجتماعية والهموم الجماعية من حالات التشرد والضياع.

إلاّ أن الذات الكاتبة أرادت التحرر من القيود والتخلص من المأساوية والإحباط السائدين والبحث عن عالم فيه الإحساس بالأمل والفرح، فيستنجد الشاعر مناديا قطار الأفراح عله ينتشله من بحر الهموم والأحزان فاختار عنوان (يا قطار الأفراح) لقصيدته.

جاء عنوان هذه القصيدة في بنيته على أسلوب النداء والمنادى هو (القطار)، وهو دال يرمز إلى السرعة ويدل على السفر والارتحال ومجيئه على هذه الصيغة (النداء) يوحي بأن المبدع أراد أن يفتن متلقيه بالمعنى الذي يجعل القارئ يغوص في أعماقه وينساق وراء متاهات العنونة، لأن كل «نص يسعى للتواصل الفني ويطرح سؤال المرسل إليه، أي القطب الجمالي (القارئ) الذي يعوّل على تفاعله في ترهيب جمالي محدّد للنّص وهنا تتقدم النصوص الموازية بمختلف أجناسها الخطابية كعتبات تضع القارئ على طريق إنجاز ذلك، إنّ ملامح المرسل إليه عادة ما تكون

مستقرة كبنية ضمنية داخل النص نفسه فتستفز ضمن نشاط تأويلي في تعاضد مع النص الموازي لإنجاز ترهينات يكشف معها النص انفتاحه الدلالي»[19].

يختزن عنوان قصيدة (يا قطار الأفراح) دلالة خاصة تبرز من خلالها بداية رحلة الشاعر الذي أصبح يبحث عن عالم جديد، لأن عذابه وعذاب المجتمع ومحنته أصبحت لا تطاق من هذا الوضع المزري، لهذا بدت في القصيدة منذ بدايتها إلى نهايتها صورة البحث عن التغيير في لحظة خيمت فيها صور الرفض على الذات الكاتبة:

قد ذهب الذين أحبهم
إلى مدائن الأفراح جميعهم
بقيت الآن وحيداً
كالأمنيات، أتجدد
كشمعة وفية، أتبخر ...
توقف ...
دعني أمتطي آخر العربات[20]

بهذه الصرخة الموجعة والموحية في الآن نفسه يقرر الشاعر الارتحال ليبرز من خلالها موقفا نفسيا فيه الكثير من الإحباط واليأس والخيبة، وموقفا فكرياً تخيم عليه صورة الرفض للوضع الإنساني الراهن وهي الرؤية ذاتها التي نجدها بصيغ أعمق فيها الكثير من الثراء في بقية قصائد الديوان.

1.2. شعرية البعث والميلاد في: (أسطورة بعث تحملها أكتاف الرجال / بلهيبك نوفمبر عصرنا النجوم):

تتشكل صورة الوطن الملتحم بصورة الشاعر الجسد في بعض قصائد ديوان (مرثية الجائع) ليختار جابر منصوري عبارة (أسطورة بعث تحملها أكتاف الرجال) عنوانا لقصيدة من قصائد المجموعة الشعرية، ومما لا شك فيه أن المبدع حين وظف دال الأسطورة أراد أن يعبر عن مقصدية خاصة تتعالق مع مفهوم الأسطورة التي يقول عنها مرسيا إلياد «إنّ الأسطورة كما عاشتها المجتمعات القديمة تتكون (أولا) من رواية أفعال قامت بها كائنات عليا. وإن هذه الرواية تشكل (ثانيا) قصة حقيقية بإطلاق لأنها تتعلق بحقائق، وهي قصة مقدسة لأنها من عمل كائنات

عليا، والأسطورة (ثالثا) تتعلق دائماً بخلق شيء جديد، فهي تحكي كيف جاء شيء ما إلى الوجود ثم إننا إذ نعرّف الأسطورة (رابعا) فإنما نعرف أصل الأشياء، وتبعا لذلك نصل إلى السيطرة عليها والتحكم بها حسب إرادتها ... والأسطورة (خامسا) تعاش على نحو أو آخر بالمعنى الذي فهمته القدرة المقدسة المجيدة التي اتصفت بها الحوادث التي يصار إلى إحياء ذكراها وتحيينها»[21].

لجأ جابر منصوري كغيره من شعراء العصر الحديث إلى توظيف الأسطورة، فكانت ملاذا خصباً عبروا من خلاله عما أصاب الإنسانية من ضياع وتشتت سببته الحروب حتى أصبح التوظيف الأسطوري خصيصة واضحة في الشعر المعاصر «واستفاد الشعر المعاصر من هذه الخصيصة الشعرية للغة، ومن تلك الصيغ السحرية المتوالدة التي يمكن للغة أن تعبر بها، ومن هنا يأتي ذلك الطابع البنوي للغة الشعرية، فالشعر هو السليل المباشر للأسطورة وابنها الشرعي»[22]. وفي توظيف الشاعر منصوري للفظ الأسطورة الذي ألحقه بفعل (البعث) يتناص مع أسطورة الخصب والنماء لاستنهاض الهمم والتغلب على الضعف واليأس الذي عانى منه الفرد الجزائري خاصة والعربي عامة ليبدأ عهد جديد عهد الولادة والتجدد، عهد الخصب والنماء، عهد التحرير الذي صنعه رجال ثائرون حملوا على أكتافهم وأجسادهم وأرواحهم مشاعل الحرية من قبضة الموت:

وجاءت الحرية الحمراء
حمراء ... حمراء
في الخامس
تعانق أشلاء الرجال
فابشري يا أرض الثائرين
يا أم زبانة
ديدوش ...
وقاهر صداك
أنت ... يا قاهر الجلادين
عظيمة أنت ...
أم حسيبة ...

ونسومر، مزيج ذاتنا
في الأولين
وكل أبنائك الراحلين
أشبالهم
في أحضان ثراك
يا وطني ...
بسلام نائمين
يا دماء أجدادنا الثائرين
عنوة رحّلتم ...
من أجلنا ...
كي نحيا آمنين
جزائرنا
يا سادة الظلام عتيقة[23].

أراد الشاعر من خلال عنوان قصيدة (أسطورة بعث تحملها أكتاف الرجال) أن يحقق ما يشير إليه النص من دلالات من خلال إعطاء صورة عن العمل البطولي الذي قام به نساء ورجال الجزائر، إذن هي أسطورة الجزائر عبر مسَارها التاريخي فالحروب التي خاضتها والخسائر التي خلفها الاستعمار لم تزدها إلا قوة وصلابة فكرست بذلك طابعها الأسطوري، لأن الأسطورة هي التي يبقى جوهرها ثابتا رغم التحولات التي تطرأ عليها.

فعنوان القصيدة يحمل تكثيفا دلاليا يحيل على معجزة ما حققته الجزائر من فعل البعث وصياغة الحرية وهذا الأمر لم يتحقق إلاّ بلهيب نوفمبر، حيث سار الشعب بخطى عملاقة نحو الانتصار فعنون الشاعر قصيدته (بلهيبك نوفمبر عصرنا النجوم) ليعلن عن معانقة الشعب للحرية وعن بداية حياة جديدة يسودها الأمن والسلام. (فاللهيب) دال يحيل على الاشتعال وهو اشتعال ثورة أول نوفمبر تجسيداً للفعل الثوري الذي أمد ثورة الجزائر بسيل من الشهداء والجماهير الهاتفة، وقد جمع الشاعر تاريخ نوفمبر بالنجوم ليرمز إلى ميلاد الانتصار ويفجر النور الذي بعث أملاً جديداً عانقه كل الجزائريين على أجنحة جويلية:

من أحضان أوراسك
نطلب صهوة القمر
نرتل أناشيدنا رفقة المطر
لنصنع عزة وخلوداً
فعانقنا على أجنحة جويلية
يا وطن أحضان النجوم
ورسمنا بدمائنا وجها لأمل جديد[24].

أسس الشاعر عنوان قصيدته على حدث تاريخي هام من تاريخ الجزائر، حيث تساوق نصّه مع تاريخ الجزائر ،وهذا ما يعرف بالتفاعل النصي، وتمثل ذلك في الجمع بين تاريخ اندلاع الثورة التحريرية من جهة وتاريخ الخامس من شهر جويلية وهو تاريخ نيل الاستقلال من جهة أخرى، وهذه الدلالة جاءت مختزنة في ذكر الشاعر شهري (نوفمبر) و (جويلية) وهما شهران يحملان ذكريات مهمة من التاريخ الجزائري العريق، لا شك أن تعامل الشاعر جابر منصوري مع التاريخ قد أمده بإمكانات هائلة وطاقات إبداعية مهمة «لأن التاريخ يعد نبعاً ثرًّا من منابع الإلهام الشعري، الذي يعكس من خلال الارتداد إليه روح عصره، ويعيد بناء الماضي وفق رؤية إنسانية تكشف عن همومه ومعاناته وطموحه وأحلامه مما يعني أن الماضي يعيش في نفسه وذهنه ويرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد التأثير والتأثر»[25]. من هنا استلهم جابر منصوري الأحداث التاريخية ووظّفها في نصه الشعري توظيفاً يتواءم ورؤيته الشعورية وموقفه النفسي.

بالإضافة إلى العناوين السابقة وظّف الشاعر بعض العناوين ذات دلالات إيحائية فيها إشارة إلى الانتماء العربي من خلال رصد قصة الجرح العربي في فلسطين والعراق، وإن كانت العناوين المختارة لا تعلن مباشرة عن موضوعها، إلاّ أنها تحمل قرائن تحيل إلى الموضوع.

2.3. شعرية التلاحم في: (ضعف الشأن محبوبتي / أبكي حيث أتذكر / الرسالة).

في قصيدة (ضعف الشأن محبوبتي) تقترن شخصية العاشق بالمحبوبة، وهو دال يحيل على تجربة الحب والعلاقة بالآخر وما يعتري الجسد في ظلها وتحت نارها من تحولات متداخلة يكون فيها جسد العاشق منحلا ومتماهيًا في جسد المعشوق، وقد قرن الشاعر محبوبته (بالضعف)

ليجعل المتلقي مسكونا بهاجس الحيرة حول نتائج هذا الضعف. هل سيرغمه على خيانة المحبوبة أم على تركها أم على التمسك والثبات لأجلها؟:

ضعف الشأن معشوقتي
ما العمل؟!
كالفجر تسلبين مني
وأنا في صمت، صامت
كالحلم تغتصبين ...
وأنا أبتسم
من صخرة المجد المنهكة
يرموك عارية أمامي
وأنا أصفق ... وأصفق
ضعف الشأن معشوقتي
فما العمل؟[26]!

إلى أن يقـــول:

أخفي غضبي وأبتسم ...
ضعف الشأن فلسطين
ما العمل؟!
ضعف الشأن بغداد ...
ضعف الشأن أمتي ...
ما العمل؟[27]!

نسب الشاعر هذه المحبوبة إلى نفسه ليعبر عن التلاحم الحاصل بين ذاته وبين معشوقته وهي القرينة الرامزة إلى فلسطين، ويعكس هذا الوضع المطبق غياب الحرية والديمقراطية والسلم وظهر بدلا عنها الضعف والظلمة والعزلة ...

ومن خلال عنوان قصيدة (أبكي حين أتذكر) ينقلنا جابر منصوري مرة أخرى إلى جو من الحدث المأساوي ورحلة العذاب الإنساني من خلال الفعل (أتذكر)، وقد جاءت تلك الدلالة

الإيحائية في شكل دال ينقله الشاعر من واقع راهن، حرص فيه على تعميق إحساس المتلقي بهذا الواقع المأساوي، وحين يقترن دال (البكاء) بالذكريات فهذا يشير إلى أن الذكرى مؤلمة فيها الكثير من الآلام والأوجاع.

أبكي حين أتذكر
أني على وسادة الجراح نائم
وشعبك في واد الدماء عائم
أبكي حين أتذكر[28]

كرر جابر منصوري صيغة العنوان في هذا المقطع ليؤكد على تأثير فعل البكاء، حيث فتح أسماعه وأفكاره لما يعانيه الوطن العربي خاصة فلسطين والعراق واستمع إلى أنفاس الموتى فامتلأ رعبا ورهبة وحاول أن يجعل من شعره رسالة فعنون أحد قصائد الديوان بهذا العنوان وهي قصيدة تغري القارئ بإعادة قراءتها فتكشف مع كل قراءة جانبا جديدا من المتعة.

والرسالة في معناها الاصطلاحي «تواصل مع الآخر وتعبير عن الذات الكاتبة»[29]، وهي «وسيلة اتصال بين صديقين غائبين»[30]، وقد تكون الرسالة «محادثة مكتوبة بين شخصين متباعدين»[31]. فالرسالة إذن عادة ما تكون موجهة للآخر، لكن الشاعر لم يحدد هذا الطرف ولم يخصصه، وإنما هي رسالة إلى الأمة إلى العالم العربي للبحث في معنى العروبة:

علميهم قصيدتي ما معنى العروبة
كي يغضب الليل ساعة
كي يعاتب الصراحة
ويلومنا على الأصالة
سجلي أمتي ...
في الرسالة[32]

خاتمة:

هكذا وجد الشاعر جابر منصوري نفسه محكوما بالواقع الذي كان يغذي تجربته الشعرية ويعيد تكوينها فكانت قصيدته الشعرية أداة تعبيرية فاعلة أفصحت عن مخيلة فنية لدى الشاعر تمتلك وعيًا بمضمون التغيرات الحاصلة على الصعيد الاجتماعي والإنساني في الوطن العربي.

في مقاربتنا لعنوان الديوان وبعض عناوين قصائده لاحظنا الاهتمام الكبير الذي أولاه الشاعر في تشكيل تلك العناوين من حيث بنيتها أو جمالها الفني، حيث لم تخل من جمالية شعرية فجاءت كلها عبارة عن بوح باطني عما جرى وعما يجري في تخوم الواقع العربي من قتل ودمار، وبؤس وضياع، وبهذا اختار الشاعر عناوين ملفتة للقارئ محاولا منه أن يجعل المتلقي (يتسكع في الحيرة) على حد تعبير الجرجاني.

هوامش:

[1] محمد بازي : العنوان في الثقافة العربية، التشكيل ومسالك التأويل، الدار العربية للعلوم ناشرون، (بيروت)، ط1، 2012، ص19.

[2] خالد حسين: اللغة والكتابة إستراتيجية العنوان، الموقف الأدبي، ع 288، 2006، ص 104.

[3] عبد الناصر هلال : شعرية التشكيل في وردة الفصول الأخيرة، كتاب سبعون عاما من الإبداع، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة)، 2007، ص 263.

[4] أحمد قشوبة: دلالة العنوان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، محاضرات الملتقى الوطني السيمياء والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر، (بسكرة)، 2002، ص 81.

[5] محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، (بيروت)، ط2، 1990، ص 72.

[6] ابن منظور: لسان العرب (كتاب الراء)، فصل (رثى)، دار المعارف، (مصر)، دط، دت، ص 149.

[7] مقبول علي بشير النعمة: المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام، دار صادر، (بيروت)، 1997، دط، ص 13.

[8] عبد الرشيد عبد العزيز سالم: شعر الرشاد العربي واستنهاض العزائم، وكالة المطبوعات، (الكويت)، ط1، 1982، ص 12- 14.

[9] سليمة عذراوي: شعرية التناص في الرواية العربية، رؤية للنشر والتوزيع، (القاهرة)، ط1، 2012، ص 114.

[10] عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، (لبنان)، ط3، 1981، ص 284.

[11] أحمد بن عبد الله محمد حمدان: دلالة الألوان في شعر نزار قباني- أطروحة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة نابلس كلية الدراسات، (فلسطين)، 2008، ص 41.

[12] جابر منصوري: مرثية الجائع، دار الروح للكتاب، قسنطينة، (الجزائر)، ص 31، 32.

[13] يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، دار الأندلس للطباعة والنشر، (بيروت)، ط2، 1983، ص 238.

[14] جوزيف البدوي: الأناشيد والأغنية الوطنية في الموسيقى العربية، مجلة الموسيقى العربية، المجمع العربي للموسيقى، جامعة الدول العربية،

http://www.arabmusicmagazine.com/index.php/2012-03-12-12-52-35/460-2014-12-30-17-00-24

[15] المرجع نفسه.

[16] جابر منصوري: مرثية الجائع، ص 57، 58.

[17] المصدر نفسه، ص 57.

[18] عادل ضرغام: في تحليل النص الشعري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، (لبنان)، ط1، 2009، ص 134.

[19] نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، (المغرب)، 2007، ص43، 44.

[20] جابر منصوري: مرثية الجائع، ص 09.

[21] مرسيا إلياد : مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، ط1، 1991، ص 09.

[22] فراس السواح: الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، دمشق، (سوريا)، ط2، 2001، ص 22.

[23] جابر منصوري: مرثية الجائع ، ص 39.

[24] المصدر نفسه، ص 19.

[25] ماجد النعامي: توظيف التراث والشخصيات الجهادية والإسلامية في شعر إبراهيم المقادمة، مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد 15، ع1، 2007، ص 63.

[26] جابر منصوري: مرثية الجائع ، ص17.

[27] المصدر نفسه، ص 16.

[28] المصدر نفسه، ص 22، 23.

[29] آمنة الدهري: الترسل الأدبي بالمغرب، النص والخطاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، (المغرب)، ط1، ص 103.

[30] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[31] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[32] جابر منصوري: مرثية الجائع ، ص 22، 23.